نور الشام

هيئة الشام الإسلامية

دورية صادرة عن هيئة الشام الإسلامية
السنة الرابعة
ربيع الأول ١٤٣٧ هـ الموافق كانون الأول 2015 م
www.islamicsham.org
/ islamicsham1 / islamicsham

العدد: ٣٩

في هذا العدد:

ص٢
السياسة الشرعية: تعريف وتأصيل.

ص٥
أنجازات أمريكا في سوريا

ص٦
إضاءات حول مفهوم الوسطية

ص٧
ديننا دين اتباع لا ابتداع

ص٨
الأوليات وضوابط تحديدها

ص١٠
(لا تيأسوا من روح الله)

ص١٢
طبائع النفس

ص١٣
العمل للدين بين العقل والعاطفة

ص١٤
تراجم

ص١٥
واحة الشعر

ص١٦
من أخبار الهيئة

نور الشام ترحب بمشاركاتكم وتزداد ثراءً بأقلامكم.. للتواصل مع إدارة التحرير وإرسال مشاركاتكم

contact@islamicsham.org

افتتاحية العدد:

أهل السنة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإنَّ أهل السنة: هم المستمسكون بسنة رسول الله ﷺ الذين اجتمعوا على ذلك، من الصحابة والتابعين، وأئمة الهدى المتبعون لهم، ومن كان على منهجهم وسبيلهم إلى يوم الدين.

وقد شذّ عن هذا المنهج القويم جماعات وطوائف، كالرافضة، والباطنية، ونحوهم، فارقوا الإسلام في غالب معتقداته وشعائره وشرائعه، فكان بحق دينًا آخر غير الإسلام.

فأهل السنة هم الإسلام، وما سواهم دين آخر، وأهل السنة هم الفهم الحق للدين، وما سواهم انحراف وضلال، وأهل السنة هم غالبية المسلمين، وما سواهم قليل.

وفتوحات الإسلام ونشره كانت على يد أهل السنة، والتصدي للغزاة والمحتلين قديمًا وحديثًا- كان على يد أهل السنة، ونشر العلم والتأليف في علوم الدين وفنونه قام بها أهل السنة، والرد على شبه الطاعنين والملبسين والمحرفين كانت ولا تزال على يد أهل السنة.

فأهل السنة هم بيضة الإسلام وحقيقته، لا قيام للإسلام ولا وجود دونهم.

علم ذلك أعداء الدين فكادوا له ليصرفوا الناس عنه، ويخرجوهم منه، تبعهم على ذلك فئام ممن انتحل اسم التشيع وحب آل البيت، فكانوا خنجرًا في خاصرة المسلمين: طعنوا في دينهم، وشوهوه وحرفوه، ونقضوا أركانه وأسسه.

ثم كانوا مع كل عدو غادر للمسلمين ومن ذلك: أنهم كانوا وزراء وأعين وجنودًا في صف التتار الذين اجتاحوا بلاد المسلمين، وشاركوا في جرائمهم المروعة، ثم كانوا شر عون للغزاة الصليبيين الحاقدين.

وفي العصر الحالي كان موقف الصفويين الطاعن للدولة العثمانية والمحالف لأعداء المسلمين ضدها.

ثم ها هو موقف رافضة إيران وحزب الله وغيرهم من جميع قضايا المسلمين، والمساعدة في الاحتلال بلادهم وأرضهم في أفغانستان، والعراق، وسوريا، بل كانوا سلمًا للمحتل اليهودي، كما قال ابن تيمية في «منهاج السنة»: «إذا صار لليهود دولة بالعراق وغيره تكون الرافضة من أعظم أعوانهم فهم دائما يوالون الكفار من المشركين واليهود والنصارى ويعاونونهم على قتال المسلمين ومعاداتهم».

وهذا ما يفسِّر جانبًا مهمًا من موقف العالم من الثورة السورية، والإصرار على ألا يكون لأهل السنة فيها قدح معلى، عبر إسناد الحكم للطوائف والأقليات في سويا، وعدم السماح لأهل السنة بحكم البلاد، ومحاولة فرض محاصصة طائفية في كل شأن سياسي قادم، والاقتصار على دعم الطوائف والأقليات في مواجهة تنظيم (الدولة)،، وهو ما يحصل في العراق كذلك..

فهل يدرك أهل السنة وزنهم وموقعهم؟ وهل يعملون على عدم السماح لمخططات الشرق والغرب بالنفاذ بسبب تفرقهم وتشتتهم، واستمرار الشقاق بينهم؟

وهل يدرك مسلمو العالم أهمية الثورة السورية ونجاحها على المنطقة؟

سياسة شرعية

السياسة الشرعية تعريف وتأصيل (*)

الكاتب: شيخ محمد بن شاكر الشريف

حاجتنا إلى السياسة الشرعية:

السياسة الشرعية باب من أبواب العلم والفقه في الدين، وفي قيادة الأمة وتحقيق مصالحها الدينية الدنيوية، جليل القدر عظيم النفع، أفرده جماعة من العلماء بالتصنيف في القديم والحديث، وانتشرت كثير من مباحثه أو مسائلة في بطون كتب التفسير والفقه والتاريخ وشروح الحديث، وهذا الباب خطره عظيم ينتج عن الغلط فيه وعدم الفهم له شر مستطير، والخطأ في التفريط فيه كالخطأ في الإفراط؛ إذ كلاهما يقود إلى نتائج مرذولة غير مقبولة، وقد وضح ذلك ابن القيم فقال: "وهذا موضع مزلة أقدام، ومضلة أفهام، وهو مقام ضنك، ومعترك صعب، فرط فيه طائفة فعطلوا الحدود، وضيعوا الحقوق، وجرؤوا أهل الفجور على الفساد، وجعلوا الشريعة قاصرة لا تقوم بمصالح العباد محتاجة إلى غيرها، وسدوا على نفوسهم طرقًا صحيحة من طرق معرفة الحق والتنفيذ له وعطلوها.. وأفرطت فيه طائفة أخرى قابلت هذه الطائفة، فسوغت من ذلك ما ينافي حكم الله ورسوله، وكلتا الطائفتين أتيت من تقصيرها في معرفة ما بعث الله به رسوله وأنزل به كتابه".

السياسة في اللغة:

لفظ "السياسة" في لغة العرب محمل بكثير من الدلالات والإرشادات والمضامين، فهي إصلاح واستصلاح، بوسائل متعددة من الإرشاد والتوجيه والتأديب والتهذيب والأمر والنهي، تنطلق من خلال قدرة تعتمد على الولاية أو الرئاسة.

والإصلاح في "السياسة" ليس مجرد هدف أو غاية تسعى السياسة في حركتها لتحقيقه، بل هو السياسة نفسها وحقيقتها، إذا فقدته فقد فقدت نفسها.

السياسة في النص الشرعي:

لم يرد لفظ "السياسة" ولا شيء من مادته في كتاب الله سبحانه وتعالى، وإن جاء الحديث فيه عن الصلاح والإصلاح والأمر والنهي والحكم وغير ذلك من المعاني التي اشتمل عليها.

وأما السنة فقد جاء قوله ﷺ: (كانت بنو إسرائيل تَسُوسُهُمُ الأنبياءُ...)، وقوله ﷺ: (تَسُوسُهُمُ الأنبياءُ) أي: تتولى أمورهم كما يفعل الأمراء والولاة بالرعية.

ويتبين بما تقدم أن السياسة في الشريعة استخدمت بمعناها اللغوي. وهي تعني: القيام على شأن الرعية من قِبَل ولاتهم بما يصلحهم من الأمر والنهي والإرشاد والتهذيب، وما يحتاج إليه ذلك من وضع تنظيمات أو ترتيبات إدارية تؤدي إلى تحقيق مصالح الرعية بجلب المنافع أو الأمور الملائمة، ودفع المضار والشرور أو الأمور المنافية.

وهذا التعريف يبرز الجانب العملي للسياسة، فالسياسة هنا إجراءات وأعمال وتصرفات للإصلاح، وعلى ذلك فإن سياسة الرعية تتطلب القدرة على القيادة الحكيمة التي تتمكن من تحقيق الصلاح عن طريق إتقان التدبير وحسن التأتي لما يراد فعله أو تركه، وهذا بدوره يحتاج إلى معرفة تامة بما تتطلبه القيادة والرئاسة من خبرة وحنكة، وقدرة على استعمال واستغلال الإمكانات المتاحة على الوجه الأمثل الذي يتحقق المراد المطلوب.

وقد جاء من كلام أهل العلم عن السياسة ما

يدل لذلك، فمن ذلك: قال ابن جرير الطبري رحمه الله في بيان السبب الذي من أجله جعل عمر رضي الله عنه أمر الخلافة في الستة الذين اختارهم: "لم يكن في أهل الإسلام أحد له من المنزلة في الدين والهجرة والسابقة والعقل والعلم، والمعرفة بالسياسة؛ ما للستة الذين جعل عمر الأمر شورى بينهم".

وقال ابن حجر رحمه الله : "والذي يظهر من سيرة عمر في أمرائه الذين كان يؤمرهم في البلاد أنه كان لا يراعي الأفضل في الدين فقط، بل يضم إليه مزيد المعرفة بالسياسة مع اجتناب ما يخالف الشرع منها"، ومما ورد في ذلك أيضًا ما جاء في شرح قول النبي ﷺ: "يا عائشة، لولا قومك حديث عهدهم بكفر لنقضت الكعبة، فجعلت لها بابين؛ باب يدخل الناس، وباب يخرجون"، والذي ترجم له البخاري في صحيحه بقوله: باب من ترك بعض الاختيار مخالفة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه"، قال ابن حجر: "ويستفاد منه أن الإمام يسوس رعيته بما فيه إصلاحهم، ولو كان مفضولاً، ما لم يكن محرمًا".

والسياسة فيما تقدم مجالها رحب فسيح، فهي ليست مقصورة على شيء أو محجوزة عن شيء؛ إذ هي "القيام على الشيء بما يحمله لفظ الشيء من العموم والشمول، بما يصلحه"، فيعمل بنا كل صاحب ولاية في تدبير أمر ولايته.

ومن أمثلة السياسة في عصر الراشدين رضي الله عنهم ما قام به أبو بكر رضي الله عنه من استخلافه لعمر رضي الله عنه، وما قام به عمر من جعل أمر الخلافة شورى في ستة من أفاضل أصحاب النبي ﷺ رعاية لمصلحة الأمة وتجنيبها مضرة الاختلاف، ومن ذلك جمع عثمان رضي الله عنه المسلمين على مصحف واحد، وإحراق ما سواه من المصاحف؛ لأن ذلك يحقق المصلحة من الائتلاف والاتفاق، ويدفع مضرة التفرق والاختلاف، وكذلك ما أمر به عثمان من إمساك ضوال الإبل لما ضعفت الأمانة، وصار تركها مضيعًا لها على أصحابها، ومن ذلك نفي عمر بن الخطاب لنصر بن حجاج لما افتتنت بعض النساء بجماله من غير ذنب أتاه لما كان في ذلك تحقيق مصلحة العفة والطهارة، ودفع مضرة تعلق القلوب به، ومن أمثلة ما تلاهم من عصور تسعير السلع التي يضطر إليها الناس إذا تمالأ التجار على رفع سعرها بغير مسوغ يدعو لذلك، فكان في التسعير دفع مضرة الظلم عن الرعية من غير ظلم للتجار، والأمثلة في هذا كثيرة، والجامع بينها تحقيق المصلحة ودفع المضرة من غير مخالفة للشريعة.

السياسة عند الفقهاء:

هناك اتجاهان عند الفقهاء في نظرتهم للسياسة:

الاتجاه الأول: ويمثله قول أبي الوفاء بن عقيل الحنبلي: "السياسة ما كان من الأفعال؛ بحيث يكون الناس أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد، وإن لم يشرعه الرسول ﷺ ولا نزل به وحي".

والاتجاه الثاني: وهو اتجاه يضيق مجال السياسة ويحصرها في باب الجنايات أو العقوبات المغلظة، وقد تجعل أحيانًا مرادفة التعزير، وهذا الاتجاه غالب على الفقه الحنفي، فقد قال بعض علماء الحنفية: "والظاهر أن السياسة والتعزيز مترادفان، ولذا عطفوا أحدهما على الآخر لبيان التفسير كما وقع في الهداية والزيلعي وغيرهما".

وتضييق هذا الاتجاه لمعنى السياسة وحصرها فيه ليس بسديد؛ "إذ السياسة قد تكون بغير التغليظ، وبغير العقوبة، وقد تكون بتخفيف العقوبة أو تأجيلها أو إسقاطها إذا وجدت موجبات التخفيف أو الإسقاط".

وأيضًا فإن عهد أبي بكر لعمر بالخلافة، وكذلك جعلها عمر شورى في ستة من الصحابة، وعمل عمر الديوان، وجمع عثمان للمصحف الإمام وتحريق ما عداه ليس من العقوبة في شيء.

السياسة الشرعية:

تنقسم السياسة بحسب مصدرها على قسمين كبيرين: سياسة دينية، وسياسة عقلية، وقد بين ذلك ابن خلدون عندما تحدث عن وجوب وجود قوانين سياسية مفروضة في الدولة يسلم بها الكافة، فقال: "فإذا كانت هذه القوانين مفروضة من العقلاء وأكابر الدولة وبصرائها كانت سياسة عقلية، وإن كانت مفروضة من الله بشارع يقررها ويشرعها كانت سياسة دينية".

ومن هنا ومما تقدم يتبين أن للسياسة جانبين: أحدهما معياري كلي "تأصيلي"، والآخر عملي تطبيقي، والسياسة الشرعية ما كانت مراعية للشرع في الجانبين، تلتزم به وتتقيد، ولا تخرج عنه.

الفقه في السياسة الشرعية:

تواجه السياسة الشرعية نوعين من المسائل:

أحدهما: جاءت فيه نصوص شرعية.

والثاني: لم تأت فيه نصوص بخصوصه.

والفقه في النوع الأول يكون عن طريق:

١- فهم النصوص الشرعية فهمًا جيدًا، ومعرفة ما دلت عليه، والتنبه للشروط الواجب توافرها في تطبيق الحكم والموانع التي تمنع من تنفيذه، ثم يلي ذلك تطبيق الحكم وتنفيذه.

٢- التمييز بين النصوص التي جاءت تشريعًا عامًا يشمل الزمان كله، والمكان كله -وهذا هو الأصل في مجيء النصوص-، وبين النصوص التي جاءت الأحكام فيها معللة بعلة، أو مقيدة بصفة، أو التي راعت عرفًا موجودًا زمن التشريع، أو نحو ذلك.

ومن مسائل هذه السياسات "النوع الثاني" منع عمر بن الخطاب رضي الله عنه سهم المؤلفة قلوبهم عن قوم كان يعطيهم إياه، وذلك لزوال تلك الصفة عنهم، فإنما كانوا يعطون لاتصافهم بهذه الصفة لا لأعيانهم،

فلما زالت الصفة منع السهم عنهم، وليس في هذا تغيير للحكم وإنما هو إعمال له، وهو من باب السياسة الشرعية، وكذلك أمر عثمان رضي الله عنه بإمساك ضوال الإبل مع أن المنع من إمساكها مستفاد من سؤال أحد الصحابة لرسول الله ﷺ عن إمساك الإبل فقال: (ما لك ولها، معها حذاؤها وسقاؤها -تَرِد الماء وتأكل من الشجر- حتى يلقاها ربها).

ومع النظرة الثاقبة في الحديث يتبين دقة فهم عثمان رضي الله عنه، فإن الرسول ﷺ قد ظهر من كلامه أنه يفتي عن حالة آمنة تأكل فيها الإبل من الشجر وتشرب من الماء، من غير أن يلحقها ضرر حتى يجدها صاحبها، فأما إذا تغير حال الناس ووجد منهم من يأخذ الضالة، صار هذا الحال غير متحقق، فإنها إذا تركت في هذه الحالة لن يجدها صاحبها.

والنوع الثاني من المسائل: وهو ما لم تأت فيه نصوص بخصوصه، فإن الفقه فيه يكون عن طريق الاجتهاد الذي تكون غايته تحقيق المصالح ودرء المفاسد، والاجتهاد هنا ليس لمجرد تحصيل ما يتوهم أنه مصلحة أو درء ما يتوهم أنه مفسدة، بل هو اجتهاد منضبط بضوابط الاجتهاد الصحيح، وذلك من خلال:

١- أن يجري ذلك الاجتهاد في تحقيق المصالح ودرء المفاسد في ضوء مقاصد الشريعة تحقيقًا لها وإبقاء عليها، والاجتهاد الذي يعود على المقاصد الشرعية أو بعضها بالإبطال هو اجتهاد فاسد مردود، وإن ظهر أنه يحقق مصلحة، أو يدرأ مفسدة.

٢- عدم مخالفته لدليل من أدلة الشرع التفصيلية، إذ لا مصلحة حقيقية وإن ظهرت ببادي الرأي في مخالفة الأدلة الشرعية.

والنوعان الأول والثاني من المسائل قد تحتاج كل منهما -وخاصة في هذا العصر- لضمان حسن تطبيقه وتنفيذه إلى إنشاء هيئات أو مؤسسات تكون مسؤولة عن التطبيق والتنفيذ، وإنشاء هذه الهيئات أو المؤسسات في ظل موافقة مقاصد الشريعة وعدم مخالفتها لنصوصها التفصيلية؛ هو من السياسة الشرعية.

والاجتهاد في مسائل السياسة الشرعية قد يؤدي إلى استنباط أحكام اجتهادية جديدة تبعًا لتغيير الأزمان مراعاة لمصالح الناس والعباد، أو نفي أحكام اجتهادية سابقة إذا ما أصبحت غير محصلة لمصلحة أو مؤدية لضرر أو فساد، أو غير مسايرة لتطور الأزمان والأحوال والأعراف، أو كانت الأحكام الاجتهادية الجديدة أكثر تحقيقًا للمصالح ودفعًا للمفاسد.

السياسة الشرعية والنظم السياسية:

مما تقدم يتبين أن موضوعات السياسة الشرعية كثيرة، وأن أحد موضوعاتها هو التشريعات السياسية التي تسير بمقتضاها الدولة أو بالتعبير القديم "الأحكام السلطانية"، أو بالتعبير المعاصر "النظام السياسي"، فإن البحث في النظام السياسي الإسلامي وتطبيقه في الواقع والاجتهاد في تكوين مؤسساته، ووضع النظم واللوائح المنظمة لذلك؛ هو مما يدخل في السياسة الشرعية.

وعلم السياسة الشرعية على ذلك هو "علم يبحث فيه عما تدبر به شؤون الدولة الإسلامية من القوانين والنظم التي تتفق وأصول الإسلام، وإن لم يقم على كل تدبير دليل خاص".

ولا شك أن هذا من السياسة الشرعية لكنه جزء من أجزائها كما تقدم، ويدخل في ذلك الرد على الشبه التي تثار حول السياسة الشرعية، وعليه فإن التعرض للنظم المناقضة للنظم الإسلامية وبيان فسادها وبطلانها يدخل في علم السياسة الشرعية.

متطلبات النظر في السياسة الشرعية:

نظرًا لطبيعة السياسة الشرعية على الوجه المتقدم بيانه، فإنه يلزم الناظر فيها والمتفقه أمور منها:

١- المعرفة التامة بأن الشريعة تضمن غاية مصالح العباد في المعاش والمعاد، وأنها كاملة في هذا الباب صورة ومعنى؛ بحيث لا تحتاج إلى غيرها؛ فإن الله تعالى قد أكمل الدين وقال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣].

٢- ومنها الاطلاع الواسع على نصوص الشريعة مع الفهم لها ولما دلت عليه من السياسة الإلهية أو النبوية.

٣- ومنها المعرفة الواسعة الدقيقة بمقاصد الشريعة، وأن مبناها على تحصيل المصالح الأخروية والدنيوية ودرء المفاسد.

٤- ومنها التفرقة بين الشرائع الكلية التي لا تتغير بتغير الأزمنة، والسياسات الجزئية التابعة للمصالح التي تتقيد بها زمانًا ومكانًا.

٥- ومنها المعرفة بالواقع والخبرة فيه، وفهم دقائقه، والقدرة على الربط بين الواقع وبين الأدلة الشرعية، ومنها دراسة السياسة الشرعية للخلفاء الراشدين والفقه فيها.

٦- ومنها معرفة أن الاجتهاد في باب السياسة الشرعية ليس بمجرد ما يتصور أنه مصلحة وإنما يلزم التقيد في ذلك بالمصالح المعتبرة شرعًا.

٧- ومنها رحمة الناظرين في هذا الباب بعضهم بعضًا عند الاختلاف في مواطن الاجتهاد.

(*) باختصار

آراء وتحليـــــلات

«إنجازات» أمريكا في سوريا: حكم ذاتي لأقليات أو حرب كردية - عربية؟

الكاتب: العصر

ما يقلق الكثير من المتابعين أن مساعدة أمريكا لأكراد سوريا على إقامة مناطق كردية ذات حكم ذاتي داخلها يجعل التقاتل بينهم وبين عربها وارداً. فالمجموعات المسلحة، الإسلامية وغيرها، اتخذت موقفاً سلبياً من الخطوات الكردية، باعتماد الإدارات المحلية في شمال سوريا. وينبع ذلك ربما من عداوات قديمة بين العرب والأكراد في سوريا والعراق، ومن تمسّك العرب السوريين بإقامة دولة مركزية قوية على أنقاض نظام الأسد، وفقا لتقديرات محللين.

ولكن كيف يمكن إقامة حكم ذاتي أو فيدرالي أو لا مركزي كردي في سوريا في ظل غياب الاتصال الجغرافي بين المناطق الكردية السورية الثلاث؟

تجيب بعض التقديرات بأن وحدات القوات الكردية (PYD) قد سيطرت في يونيو ٢٠١٥ على مدينة «تل أبيض» على الحدود السورية التركية، فعطلت بذلك اتصال «داعش» بتركيا جغرافياً وسمحت بربط كانتوني «كوباني» و«الجزيرة»، إلا أن ما يقلق الأكراد أو يخيفهم هو رفض تركيا وبشكل مطلق اتصال المناطق الكردية السورية وإنشاء إقليم يتمتع بحكم ذاتي.

وهي لذلك حاولت ضرب هذا المشروع بإقامة منطقة آمنة في مناطق سورية حدودية مع تركيا، وبإقناع أميركا به وبوضعهما معا خطة لذلك وفي الرابع من أغسطس من العام نفسه. علماً أن تنفيذها لم يحصل لتتصل واشنطن منها.

ورغم هذا الفشل، تبدو تركيا مصمّمة على تعطيل كل جهد كردي يرمي إلى وصل الكانتونات الثلاثة عبر السيطرة على منطقة طولها ٦٥ ميلاً ليس فيها قرية أو بلدة كردية، كما يرى محللون.

هل من تواصل أو بالأحرى علاقة جيدة بين أكراد سوريا وكردستان العراقية، وخصوصاً بعدما قدم رئيس كردستان مسعود البرازاني مساعدة عسكرية ملموسة لأكراد سوريا مكّنتهم من تحرير «كوباني» من «داعش»؟

تفيد المعلومات أن العلاقة السياسية والأيديولوجية لحزب الاتحاد الكردستاني السوري (PYD) بحزب العمال الكردستاني (التركي) وضعته في حال تنافس مع برازاني والحكومة الكردية الإقليمية، والتنافس بين الأخيرة وحزب أوجلان تعود إلى عام ١٩٩٠.

وجعل ذلك من الـ(PYD) منافساً لحلفاء برازاني من أكراد سوريا المنضوين في «الحزب الكردي السوري الديمقراطي» وفي «الائتلاف الوطني الكردي».

والاثنان قاطعا الانتخابات المحليّة التي أجراها الأول في الكانتونات الكردية السورية الثلاثة، فضلا أن سعي برازاني إلى نقل كردستان العراقية من الحكم الذاتي إلى دولة مستقلة لا يسمح له بالعمل على توحيد أكراده مع أكراد سوريا، إذ من شأن أن يعقّد مخططاته وطموحاته.

فماذا أنجز الأميركيون بدعمهم أكراد سوريا؟ كما يتساءل أحد الكتاب:

جعلوا القتال مستقبلاً بينهم وبين العرب احتمالا واردا، وخاصة بعد رد الفعل السلبي للسوريين على إعلان وحدات PYD الحكم الذاتي في مناطقه.

كما إن ستمرار الحرب في سوريا ومساعد أمريكا لأكراد سوريا الانفصاليين، قد يدفع لاحقاً مكونات وأقليات أخرى مثل الدروز والعلويين إلى المطالبة بحكم ذاتي في مناطقهم. ومن شأن ذلك كله جعل إعادة بناء الدولة السورية أمراً بالغ الصعوبة والتعقيد.

إضاءات حول مفهوم الوسطية

حسام سلامة

كثيراً ما تدّعي بعض الجماعات أو الأحزاب، الوسطية البعيدة عن الإفراط والتفريط فلا بد من توضيح بعض المفاهيم حول مفهوم الوسطيّة:

أولاً: أن الوسطيّة هي الحقُّ الذي قام عليه البرهان وثبت بالدليل وليست الوسطية الوقوف في المنتصف كإمساك العصى من الوسط وإن كان المنتصف أحياناً يوافق الصواب ولكن كثيراً ما يخالفه فمشكلة الجماعات الاسلامية أنهم يبحثون عن الوسطية بين مناهج الجماعات وليس عن الوسطية المستمدّة من النصوص الصحيحة والصريحة. فمن هنا لا نسمي ضبابية المواقف والحيادية في صراع الحق والباطل والسكوت عن كلمة الحق وسطية بل إنه الخيانة بذاتها فلله در القائل "الكلام عن التحذير من الإرجاء في ساحة راجت فيها بضاعة الغلو كالحديث عن الزنا في بلد تفشى فيه الربا وكلاهما خيانة لله ورسوله وللرسالة".

ثانياً: يجب على الجماعات التي تتحدث عن الوسطية بين الغلو والإرجاء -وخاصةً التي تتخوف من العمل بالسياسة الشرعية خوفاً من الانزلاق للتمييع والإرجاء - أن تعلم أن الغلوّ والإرجاء لا يلتقيان في زمان واحد بحيث يكون كل واحد منهما خطر قائم بذاته بل يأتي أحدهما عقب الآخر وكثيراً ما يكون كردة فعل غير منضبطة فإن تعاور الغلو والارجاء على مزاج الامة كتعاقب الليل والنهار لا يجتمعان بحال والانتقال بينهما يشبه حالة انسلاخ النهار عن الليل. ففي وقت الحروب وإسقاط الأنظمة الديكتاتورية يقوم خطر الغلاة الخوارج وفي وقت السلم والتنافس للوصول إلى السلطة يأتي خطر المرجئة المميعين وتعمل الأنظمة المستبدة على تقوية هذا الفكر أو

ذاك وخاصةً في زماننا الذي كثر عبث المخابرات العالمية على حسب حال عروش الطغاة فحين يستقر سلطانهم يستعينون بالمرجئة لتطويع الناس، وحين يهتز سلطانهم يستعينون بالغلاة لترهيب الناس، فكلاهما غدا ذراعا في يد السلطان السياسي يحركهما كيف يشاء، فنحن أمام ظاهرة غلو وإرجاء مختلفة تماما عن عما هو الحال في عصر السلف. نحن أمام مرجئة وغلاة يمارسون الانحطاط الاخلاقي؛ بسبب الاختراق الأمني المخابراتي فيجب على أهل الحق أن يتصدوا لكل خطر واحد منهما في وقته وحينه.

وإنّنا نحن اليوم في ظل الثورة السورية والجهاد الشامي نرى أنّ الخطر القائم هو الغلو والغلاة.

والغلو ليس حكراً على جماعة معينة بل هو أمر نسبي يختلف بين جماعة وأخرى. ويتوجّبُ على أهل العلم والتّقى أن يصبوا اهتمامهم لمحاربة هذا الخطر القائم ويستعدّوا لمواجهة الخطر القادم. فالذّود عن المشروع الإسلامي لا يكون إلا بالتصدي لهذين الخطرين.

ويجب التنويه أن القضاء على الغلو قد يسقط الإرجاء، والعكس صحيح، ولكن القضاء على الاستبداد السياسي سيسقطهما معاً.

ثقافة المسلم

جناية «الذين لا يعلمون» في محنة الغلاة

الكاتب: أسامة اليتيم

بدأت ثورةُ أهل الشام -حين بدأت- بيضاءَ نقيةً لا إفراط فيها ولا تفريط، ترفع شعاراتٍ يتفق القاصي والداني على شرعيتها والانتصار لأهلها..

ثم ما فتأت أن لوثها الغلاةُ بشعاراتٍ لا قِبل لأهل الشام بها، فسرى التنازع بين المجاهدين سريان النار في الهشيم، وأكلت الثورةُ بعض أبنائها، وارتدت الحراب في الصدور..

فكان أن وقف بعض الناصحين من هذه المحنة موقف العدل والإنصاف فنصحوا للأمة وردوا زيغ الغلاة وبينوا باطلهم وردوا شبهاتهم وقاموا بواجب البيان والبلاغ..

وكان ممن أسهم في استفحال أمر الغلاة وتطاير شررهم فئامٌ من الذين لا يعلمون، لبسوا لبوس أهل العلم -وما هم منهم-، فكان منهم المتعالم، ومنهم الجاهل بالحكم الشرعي أو بتطبيقه على الواقع، وكان منهم من كتم علمه خوفًا على نفسه أو خوفًا من انفضاض الأتباع والطلاب من حوله، أو لهوىً في نفسه.

• فأما المتعالمون: فإن قضية الغلاة قضيةٌ علميةٌ عقديةٌ منهجية، والمشاهد أن كثيرًا ممن يخوض فيها لم تعرف لهم سابقةُ علمٍ ولا رسوخٌ في العقيدة ولا فقهٌ في دين الله.

• ﴿ومنهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾، ومع كل ذلك فقد لبسوا لباس الشرع يفتون لقادتهم بحل دم فلان وردة الفصيل

الفلاني واستحلال ماله وسلاحه دون أثارةٍ من علم أو حجةٍ أو دليل.

• ومنهم المتقلبون المتذبذبون في شأن الغلاة، كمن عمل بادي الرأي على التمكين للغلاة في القرى والمدن، فلما رأى جرائمهم بدأ ينكر عليهم ويحذر منهم، ولو أنهم بحثوا في جذور هذه الجماعات وسبروا تاريخها أو سألوا أهل العلم عن حقيقتها قبل تطاير شررها لما استفحل أمرها ولا غدا تطهير بؤرها عسيرًا على الصادقين.

• وطائفة من أهل العلم ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ فلا يمنعهم من مواجهة الغلاة وتحذير الناس منهم إلا خوفهم على حياتهم وخشيتُهم من غدر الغلاة بهم. وقد استفحل داء الخوف على كثيرٍ من أهل العلم حتى غدا المنكرُ على الغلاة غريبًا كصالحٍ في ثمود، ونسوا أن الله -المحيي المميت- قد أخذ عليهم العهد والميثاقَ ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧]. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

• إخفاء الحق لكسب الأصوات:

وعلى الأعراف رجالٌ يقفون في المنطقة الرمادية بين أهل السنة والغلاة، فيحاولون إمساك العصا من المنتصف، فتراهم يعلمون الحق ويكتمونه مجاراةً للناس وسعيًا في إرضائهم، أو لهوىً في نفوسهم وسعيًا في جمع أصوات الناس على بعض المشاريع الخاصة، فيحاولون الظهور بمظهر الحياد، ويختبئون خلف عموميات الإصلاح وحقن الدماء وتوحيد الصفوف، ويقولون: لسنا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء!! ويحاولون إنهاء الأزمة على قاعدة: "أحبوا بعضكم" و"كل واحد يصلح سيارته"!!.

وهو حيادٌ سلبيٌ قاتلٌ لو كان يعلمون، حيادٌ بين الضحية والجلّاد، بين الظالم والمظلوم، بين من يسعى لينقذ ما تبقى من هذه الثورة ومن يواصل الليل بالنهار ليهدمها ويظهرها بأبشع صورة.

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله من علم لا ينفع، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ (٤١) وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة ٤٢] . فهو ثمنٌ قليلٌ زهيدٌ رخيصٌ مَهما زَينَّ الشيطان منافعه ومصالحه ومكاسبه. وقد صنف أبو بكر الآجري مصنفاً في أخلاق العلماء وآدابهم، فوصف فيه عالم السوء بأوصاف كثيرة منها قوله: "وقد فتنه حبُّ الدُّنيا: الثناء والشرف والمنزلة عند أهل الدُّنيا، يتجمل بالعلم كما تتجمل بالحلية الحسناءُ للدنيا ...".

• وممن أسهم في انتشار سموم الغلاة: شرعيو بعض الفصائل الذين ليس لهم من الأمر شيئ، ممن يسيرون خلف ركاب قادتهم، فتراهم - إن كان قرار قائد الفصيل عدم قتال الغلاة - يبحثون في النصوص التي تتحدث عن حرمة دماء المسلمين وأن قتالهم فتنة، وكأن النصوص التي وصفت الخوارج وحذرت منهم وأمرت بقتالهم إنما جاءت في أهل الكتاب!!

• وأخيرًا فإن من كبار الذين لا يعلمون قومٌ ما فتئوا يكيلون المدح للغلاة، ويصفونهم بصفات التعظيم والتبجيل، فيُلبِّسون على الناس باطلهم ويسوقون للذين لا يعلمون أمثالهم.

فأعرضْ عن كل هؤلاء وتمثل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الجاثية:١٨]. وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

تصحيح المنهج ٢:
(ديننا دين اتباع لا ابتداع)

الكاتب : الشيخ فايز الصلاح

الاتباع : السير في طريق مسلوك.

والابتداع: إحداث طريق جديد لم يُسلك من قبل.

والاتباع الشرعي: هو السير على طريق النبي ﷺ ومن رضي الله عن منهجهم ألا وهم الصحابة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]. وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال أيضا: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان: ١٥].

والاتباع لا يختص بأمر دون آخر، بل هو شاملٌ لأمور الدين كلها من عقيدة وشريعة ومنهج وسلوك، قال تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]. فالرسول ﷺ أسوة حسنة لنا في كل شيء.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: "اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتم، عليكم بالأمر العتيق". أي كفيتم في العقائد والعبادات والسلوك، فلا يحل للمسلم أن يستدرك على الأمر الأول.

والابتداع ضد الاتباع تماماً، وهما لا يلتقيان أبداً لغة وشرعاً. أما الابتداع في اللغة: قال في اللسان: بدع الشيء: أنشأه وبدأه.

والابتداع في الشرع: هو إحداث طريقة في الدين مخترعة من عبادة أو فكر أو سبيل، لم يُشرع في كتابٍ ولا سنة ولا فعله سلف هذه الأمة.

قال الشاطبي في الاعتصام: "البدعة طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية يُقصد بالسلوك عليها ما يُقصد بالطريقة الشرعية". انتهى.

ومجالات البدع كثيرة في العقيدة والسلوك والأحكام والمنهج، وكل هذا داخل في قوله ﷺ: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) رواه البخاري ومسلم.

الأوليات وضوابط تحديدها (*)

الكاتب: عادل بن محمد السليم

تعريف وتمهيد

الأوليات: هي الأعمال والأنشطة التي حقها التقديم على غيرها.

وتقديم الأهم على المهم والفاضل على المفضول حقيقة شرعية، وبدهية عقلية.

ومراتب الأعمال متفاوتة؛ فمنها ما يكون من الأركان، ودونها الواجبات، ثم دونها السنن... وهكذا.

وكذلك مصالح العباد متفاوتة؛ فقد بيَّن الأصوليون أنها ثلاث مراتب: فأعلاها الضروريات، تليها الحاجيات، ثم التحسينيات.

فإذا تعارضت الأعمال أو المصالح، أو تعسَّر الجمع بينهما؛ فإن الواجب تقديم الأوْلى فالأوْلى؛ فلا يجوز تقديم الواجب على الركن؛ كما لا يجوز تقديم النفل على الواجب.

مفاسد غياب فقه الأوليات:

غياب فقه الأوليات باب من أبواب الانحراف والاضطراب، ويؤدي إلى مفاسد عظيمة على مستوى الأفراد والمؤسسات، ومن هذه المفاسد:

١- سوء فهم الشريعة:

حيث تُنَزَّل الشريعة في غير منازلها المأمور بها؛ وذلك «يؤدي إلى فوضى فكرية عارمة تشوِّه الشريعة وتخل بتوازنها، ولقد أرسى الشرع بين المأمورات والمنهيات توازناً لا يجوز الإخلال به؛ تماماً كنسب الدواء الواحد، قد يؤدي تغيرها إلى إفساده وإلغاء خصائصه، إن لم ينقلب إلى سم قاتل» (فقه مراتب الأعمال، د. سعد الدين العثماني).

٢- ضياع الأجر:

فالجاهل بمراتب الأعمال يهتم بالعمل قليل الأجر على حساب كثير الأجر، ويضيع الجهد الكبير للحصول على حسنات قليلة (فقه مراتب الأعمال).

٣- الاضطراب الدعوي:

إن المتابع للواقع الدعوي اليوم يلمس قصوراً بيناً في معرفة مقاصد الشريعة وأصولها وأولياتها؛ مما أدى إلى اضطراب واسع في كثير من البرامج والأنشطة، واستهلاك كبير لكثير من الطاقات البشرية والموارد المادية في أمور غيرها أوْلى منها.

٤- تشتيت جهود الدعاة والمؤسسات الإسلامية:

إن اتفاق الدعاة والمؤسسات الإسلامية على تحديد الأوليات يقوي ثمراتها، ويرسخ جذورها، ويجعلها -بإذن الله تعالى- متراصة متماسكة تتعاون في تحقيق أولياتها بيسر وسهولة. أما اختلاف الدعاة والمؤسسات الإسلامية في تحديد الأوليات فإنه يضعف من أنشطتها، ويفرق من ثمراتها، ويجعلها تسير في طرق متباينة متباعد.!

٥- إهدار الأوقات:

إن تقديم المهم على الأهم، والمفضول على الفاضل يطيل الطريق على الدعاة والمؤسسات الإسلامية، ويهدر أوقاتاً كثيرة كان يمكن أن تستثمر في الأصلح والأنفع للأمة. ولهذا كان من فضل الله على العبد أن يبصِّره بأفضل الأعمال، ويثبِّته عليها.

٦- البعد عن مدارج الكمال:

فكلما اشتغل المرء بالمفضول على حساب الفاضل، وبالمهم على حساب الأهم؛ ابتعد عن مدارج الكمال، ومنازل العلو والرفعة. قال الإمام أبو عبيدة: «من شغل نفسه بغير المهم أضرَّ بالمهم» (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع).

ضوابط تحديد الأوليات:

١- الاعتماد على المصادر الأصيلة في الاستدلال والتلقي:

لقد بليت الأمة الإسلامية بألوان وألوان من التفرق والاختلاف، وأصابها ما أصابها من الانحراف والبعد عن دين الله تعالى، وأصبحت الأوليات الدعوية تُحدَّد في كثير من الأحيان بناء على الاجتهادات والأهواء الشخصية، أو بناء على تجارب ورؤى قاصرة ضيقة الأفق.

ولا مخرج للأمة من هذه الكبوة إلا بالعودة الصادقة إلى المصادر الأصيلة للاستدلال والتلقي، وهي الكتاب والسنة، أو ما دلَّ عليه الكتاب والسنة كالإجماع والقياس ونحوهما.

٢- النظرة الشمولية للإسلام:

إن من فضل الله تعالى على أمة الإسلام أن جعل هذا الدين ديناً شاملاً لجميع شؤون الحياة، ولا يجوز بحال قصر الدين على شعبة من شعبه وإهمال شعبه الأخرى؛ ولذا قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨].

قال ابن كثير: «يقول الله تعالى آمراً عباده المؤمنين به المصدقين برسوله أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه، والعمل بجميع أوامره، وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك».

ومن الأخطاء التي يقع فيها بعض الدعاة في هذا الباب:

أ / وضع الجزئيات في موضع الكليات، والاشتغال بها على حساب الكليات.

ب / التهوين من شأن السنن، بل والواجبات أحياناً؛ بحجة أنها من الجزئيات الفرعية.

وكلا هذين الأمرين خطأ بلا شك؛ فكل ما ثبت في الشرع فحقه التقدير، ووضعه في مكانه اللائق به شرعاً، والتوازن مطلوب في إعطاء النصوص حقها علماً وعملاً ودعوة.

٣- تقديم ما قدَّمه الشارع الحكيم:

إنَّ من الأصول المقررة عند علماء الإسلام قديماً وحديثاً: وجوب تقديم ما قدمه الشارع الحكيم علماً وعملاً، وإعطاء كل أمر شرعي حقه من التعظيم والإجلال.

فالدعوة إلى توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة، ونبذ الشرك والبراءة منه ومن أهله هي المنطلق والأساس الذي بدأ به جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

٤- معالجة حاجات البيئة:

تختلف البيئات من حيث احتياجاتها الدعوية، ومن حيث الانحرافات السائدة فيها، ولهذا يجب أن تحدد الأوليات الدعوية التي تتصدر لها المؤسسات والمراكز الإسلامية بناء على حاجات كل بيئة. فما يجب تقديمه في البيئة العربية قد يختلف عن البيئة في أوروبا الشرقية أو الغربية أو أفريقيا... وهكذا.

٥- الموازنة بين المصالح والمفاسد:

فبعض الأعمال والبرامج قد يترتب على فعلها مصالح شرعية أكثر من بعض، والواجب الجمع بينها لتحقيق جميع المصالح قدر الإمكان، وإذا تعذّر الجمع بينها أو تعسر؛ فإن الحكمة تقتضي تقديم الأعمال الراجحة التي يترتب عليها مصلحة أكبر، وتأخير الأعمال المرجوحة التي يترتب عليها مصلحة أقل.

وهكذا عندما يقترن ببعض الأعمال والبرامج شيء من المفاسد؛ فإنها تقدر بقدرها وتدرأ قدر الإمكان.

إنّ من السهل على أكثر الدعاة والمؤسسات الإسلامية أن يفرقوا بين الحسن والرديء، ولكن التفريق بين الحسن والأحسن يحتاج إلى فقه راسخ، وأفق واسع، وبصر عميق.

إن من دلائل الحكمة والرشد والفقه في دين الله تعالى، تقديم العناية بالأعمال والبرامج التي تبنى عليها أعمال كثيرة، ولا يحسن قيامها إلا بإتقانها وإحكامها، والأمثلة التي توضح هذا كثيرة جداً، أذكر منها ما يأتي:

أ- العناية بالبناء المؤسسي المحكم.

ب- العناية بإعداد الدعاة.

ج- العناية بالعلم الشرعي.

٧- تقديم الأعمال ذات النفع المتعدي إلى الآخرين على النفع الخاص:

فالذي يتقرب إلى الله تعالى بالعبادة الخاصة مأجور إن شاء الله؛ لكن الذي يتقرب إلى الله تعالى بالجهاد في سبيل الله والسعي في حاجات الناس أفضل عند الله تعالى.

قال رسول الله ﷺ: (أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إليَّ من أن أعتكف في المسجد شهراً) أخرجه الطبراني في الأوسط.

تختلف قدرات الناس وملكاتهم باختلاف أشخاصهم؛ فما يصلح لبعضهم قد لا يصلح للآخرين؛ ولهذا كان من الفقه أن يقدم المرء ما يستطيع أن يبدع فيه وينفع به الأمة على الأعمال الأخرى التي نفعه فيها أقل.

٨- الإعراض عن المسائل التي لا ينبني عليها عمل جاد:

قال الإمام الشاطبي: «كل مسألة لا ينبني عليها عمل فالخوض فيها خوض فيما لم يدل على استحسانه دليل شرعي» (الموافقات).

ونحسب أن المؤسسات الإسلامية لو اشتغلت بالمسائل الجليلة التي ينبني عليها عمل مثمر، وتركت الخوض في المسائل النظرية والشكلية، لكانت ثمراتها أكثر نضجاً، وأرسخ جذوراً، وأعظم بركة بإذن الله تعالى.

(*) باختصار

أخـــلاق وآداب

لَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ

رابطة خطباء الشام

إن التفاؤل الذي نتحدّث عنه هو الذي يولّد الهمّة، ويبعث العزيمة، ويجدّد النشاط، فالمسلم المتفائل متوكّل على الله، أكثر الناس نشاطًا، أقواهم أثرًا، كلّ عسير عليه يسير، وكلّ شدّة فرجُها آتٍ وقريب، المسلم المتفائل دائمًا يتوقّع الخير، يبتسم للحياة، يحسن الظنّ بالله، والله عز وجل بيده مقادير الأمور، وهو سبحانه وتعالى سيكشف الضرّ الذي نزل بالأمّة، وسيجعل بعد العسر يسرًا، وبعد الضيق فرجًا، وبعد الحزن سرورًا.

قال الماورديّ: فأمّا الفأل ففيه تقوية للعزم، وباعث على الجدّ، ومعونة على الظّفر؛ فقد تفاءل رسول الله ﷺ في غزواته وحروبه. [نضرة النعيم: ١٠٤٥].

١-واقع مرير:

لا يخفى على ذي بصر حال هذه الأمة العظيمة، من اضطهاد وتنكيل، وقتل وتشريد، وتسلط للأعداء وتكالبهم، وحشد للحشود وجمع للجنود، يصاحب كل ذلك عداء وكيد وحقد وغل لو سُلّط على الجبال لأزالها، أو رُميت به أمةٌ غيرها لأفناها، وتكاد لا تطلّع على بقعة من بقاعها إلا ووجدت جرحاً نازفاً، وكَلْمَاً غائراً، غير أن هذه الأمة لم يخبو يوماً سراجُ حياتها، ولم تغب أبداً ملامحُ أصالتها وعزتها، فكانت على الدوام تتبسم في وجه الصعاب، شامخةً في عين الأعاصير..

كيف لا وهي أمة تحمل أطهر رسالة وأحكم شريعة وأنبل منهج طلع على هذه البشرية.

٢- أمة التفاؤل:

كيف لا وهي أمةٌ خاطبها الله تعالى فقال لها: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

وطمأنها في منهاجها فقال: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢،٣٣].

وضَمِنَ نصرها وعزّها فقال: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]. ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١]، ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

وأكد هذا النصر بقوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ۝١٧١ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ۝١٧٢ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ۝١٧٣﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣].

ويقول تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾[البقرة: ٢١٤].

فهذا كتابها يبث فيها الأمل، وينشر فيها روح التفاؤل، ويمحو فيها كل يأس وقنوط بل ويجعل اليأس من المهلكات فيقول: ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

٣- نبينا ﷺ متفائلاً:

ليس هذا فحسب بل إن رسولنا ﷺ كان مثالاً حياً دافعاً للصعاب بروحه الطاهرة ومؤصّلاً لحياة ملؤها الأمل والتفاؤل. عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال (لا عَدوى ولا طِيَرَةَ، ويعجبُني الفألُ الصَّالحُ : الكلمةُ الحسَنةُ) [متفق عليه].

ويقول ﷺ: (لا تزالُ طائفةٌ من أمَّتي ظاهرينَ على الحقِّ، لا يضرُّهم مَن خذلَهُم، حتَّى يأتيَ أمرُ اللَّهِ وَهُم كذلكَ) [مسلم: ١٥٦].

وروي عنه ﷺ أنه قال: (إنّ حُسْنَ الظّنّ بالله مِنْ حُسْنِ عِبادَةِ الله) [أبوداود/٣٤٥، وأحمد/ ٧٩٥٦، وصححه أحمد شاكر].

ويبشّر بالنصر والتمكين لدينه وشرعه الحنيف، كما عند أحمد في مسنده من رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ (ليَبْلُغَن هذا الأمر ما بلغ اللَّيل والنَّهار، ولا يترك الله بيت مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلَّا أدخله اللهُ هذا الدِّين، بعِزِّ عَزيز أو بذُلِّ ذَليل، عزًّا يُعِزُّ الله به الإسلام، وذُلًّا يُذِلُّ الله به الكفر) [أخرجه أحمد/ ١٠٣، وغيره].

ليس هذا توجيهاً قولياً فحسب بل لو تتبعنا مواقفه ﷺ في جميع أحواله، فسوف نجدها مليئة بالتفاؤل والرجاء وحسن الظن بالله، بعيدة عن التشاؤم الذي لا يأتي بخير أبداً.

فمن تلك المواقف:

ما حصل له ولصاحبه أبي بكر رضي الله عنه وهما في طريق الهجرة، وقد طاردهما سراقة، فيقول الرسول ﷺ مخاطباً صاحبه وهو في حال ملؤها التفاؤل والثقة بالله: (لا تحزن إن الله معنا، فدعا عليه رسول الله ﷺ فارتطمت فرسه - أي غاصت قوائمها في الأرض - إلى بطنها) [متفق عليه].

• ومنها تفاؤله ﷺ وهو في الغار مع صاحبه، والكفار على باب الغار وقد أعمى الله أبصارهم فعن أنس عن أبي بكر رضي الله عنه قال: (كنتُ مع النبيِّ ﷺ في الغارِ، فرفعتُ رأسي فإذا أنا بأقدامِ القومِ، فقلتُ: يا نبيَ اللهِ، لو أنَّ بعضَهم طأطأَ بصرَه رآنا، قال: (اسكتْ يا أبا بكرٍ، اثنانِ اللهُ ثالثُهما)) [صحيح البخاري:٣٩٢٢].

• ومنها تفاؤله بالنصر في غزوة بدر، وإخباره ﷺ بمصرع رؤوس الكفر وصناديد قريش.

• ومنها تفاؤله ﷺ عند حفر الخندق حول المدينة، وذكره لمدائن كسرى وقيصر والحبشة، والتبشير بفتحها وسيادة المسلمين عليها.

• ويقول خباب بن الأرت رضي الله عنه: (أتيت النبي ﷺ وهو متوسّد بردَه، وهو في ظلّ الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدّة، فقلت: يا رسول الله، ألا تدعو الله لنا؟! فقعد وهو محمرّ وجهُه، فقال: «لقد كان من قبلكُم ليُمْشَط بمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيُشَقّ باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه، وليُتمنّ الله هذا الأمر

حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله والذئب على غنمه) [أخرجه أحمد ٥/١٠٩[٢١٣٧١] والبُخَاري: ٤/٢٤٤[٣٦١٢] والنَّسائي: ٨/٢٠٤].

وهنا (وليُتمنّ الله هذا الأمر حتى يسير....) -يزرع في نفسه وفي نفوس أفراد الأمة من بعده أملاً كبيراً بنصرة الدين وعزة أهله.

ومنها تفاؤله ﷺ بشفاء المريض وزوال وجعه بمسحه عليه بيده اليمنى وقوله: (لا بأس طهورٌ إن شاءَ اللهِ) [البخاري: ٣٦١٦]

ولقد عاب النبي ﷺ على الذين يُنفِّرون الناس، ويَضعون الناس في موقع الدُّونيَّة والهزيمة النفسيَّة، فقال ﷺ في الحديث الذي رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: (إذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ) قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: لَا أَدْرِي، أَهْلَكَهُمْ بِالنَّصْبِ، أَوْ أَهْلَكُهُمْ بِالرَّفْعِ). [مسلم: ٢٦٢٣].

٤- التفاؤل في حياة الأنبياء الكرام

ومثل هذا ما كان عليه إخوانه الأنبياء صلوات ربي عليهم وسلامه.

• فهذا نبي الله نوح: عليه السلام يدعو قومه إلى الإيمان بالله ألف سنة إلا خمسين عامًا، دون أن يمل أو يضجر أو يسأم، بل كان يدعوهم بالليل والنهار، في السر والعلن، فُرَادَى وجماعات، لم يترك طريقًا من طرق الدعوة إلا سلكه معهم أملا في إيمانهم بالله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩﴾ [نوح: ٥-٩]. ولم يعرف اليأس لقلبه طريقاً دون هدفه العظيم.

فأوحى الله تعالى إليه أنه لن يؤمن معه أحد إلا من اتبعه، فصنع السفينة، وأنجاه الله هو والمؤمنين.

• وها هو نبي الله يعقوبُ عليه السلام المبتلى بفقد ولديه: حزن عليهما حزنًا شديدًا حتى فقد بصره، لكن يعقوب -عليه السلام- ظل راضياً بقضاء الله، ولم ييأس من رجوع ولديه، وازداد أملُه ورجاؤه في الله سبحانه أن يُعيدَهما إليه، وطلب يعقوب عليه السلام من أبنائه الآخرين أن يبحثوا عنهما دون يأس أو قنوط، لأن الأمر بيد الله، فقال لهم: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، وحقق الله أمل يعقوب ورجاءه، ورَدَّ عليه بصره وولديه.

• وموسى عليه السلام: حين طاردهم فرعون وجنوده، فظنوا أن فرعون سيدركهم، وشعروا باليأس حينما وجدوا فرعون على مقربة منهم، وليس أمامهم سوى البحر، فقالوا لموسى: (إِنَّا لَمُدْرَكُونَ) [الشعراء: ٦١]. فقال لهم نبي الله موسى عليه السلام في ثقة ويقين: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢]. فأمره الله سبحانه أن يضرب بعصاه البحر، فانشق نصفين، ومشى موسى وقومه، وعبروا البحر في أمان، ثم عاد البحر مرة أخرى كما كان، فغرق فرعون وجنوده، ونجا موسى ومن آمن معه.

• وكذلك نبي الله أيوب عليه السلام، والذي ابتلاه الله في نفسه وماله وولده إلا أنه لم يفقد أمله في أن يرفع الله الضر عنه، وكان دائم الدعاء لله: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[الأنبياء: ٨٣]. فلم يُخَيِّب الله أمله، فحقق رجاءه، وشفاه الله وعافاه، وعوَّضه عما فقده.

• وهذا أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام يقول: ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِن رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

٥- من أسباب تفاؤلنا:

هذه هي العبرة إذاً وهذا هو الدرب لكل المستضعفين والمعذبين.

إنه التفاؤل، ذلك السلوك الذي يصنع به الرجال مجدهم، ويرفعون به رؤوسهم، فهو نور وقت شدة الظلمات، ومخرج وقت اشتداد الأزمات، ومتنفس وقت ضيق الكربات، وفيه تُحل المشكلات، وتُفك المعضلات.

فلو ادلهمت الخطوب وتكالب الأعادي ﴿لَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ﴾.

ولو تجمع العالم علينا وتكالبت قوى الكفر والبغي والعدوان ﴿لَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ﴾.

• كيف نيأس والله ربنا الذي بيده ملكوت السماوات والأرض وبيده عزّ من يشاء وذل من يشاء ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

فليس الملك بيد رئيس أو زعيم أو دولة كائنة من كانت، بل إن كل ذلك بيد الله سبحانه وحده.

كيف نيأس ومحمدٌ ﷺ رسولنا، وأعظم الكتب دستورنا.

وقف الحاكم العسكري للجزائر بعد مجازر جاوزت المليون، وبقي الشعب الجزائري متمسكًا بأصالته، متحركًا بقرآنه وسنته، حتى قال الحاكم العسكري الفرنسي: (ماذا أفعل إذا كان القرآن أقوى من فرنسا) بل أقوى من كل قوى البغي والطاغوت.

ثقوا -عباد الله- أن معكم أقوى سلاح على وجه الأرض؛ لأنه سلاح تعمير الأرض لا تخريبها، إحياء الموتى لا قتل الأبرياء، الحكم بالعدل وليس إشاعة الظلم، التحلي بالعفة لا التدني بالخسة، التكافل بين الأغنياء والفقراء ليس الحقد والسرقة والاعتداء، الأمن لا الخوف، البر لا الظلم، الإحسان لا الطغيان، السكينة لا الضغينة، التواضع لا الكبر والخيلاء، وحق لمنهج هذه بعض معالمه أن يقود وأن يسود، وأن نتحرك به في هذا الوجود؛ حتى يسطع نوره على أهل الغواية والجحود.

كيف نيأس ونحن نرى التاريخ عبر مسيرته الطويلة يؤكد ألا بقاء لقوى العدوان والظلم والفساد، ويقول ربنا سبحانه: ﴿وَإِنْ مِّن قَرْيَةٍ إِلا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ [الإسراء: ٥٨].

فالأمل الأمل يا أهل سورية الأبطال.. والتفاؤل التفاؤل فالله ناصرنا، وبعد الضيق فرج، وبعد العسر يسر ولن يغلب عسرٌ يسرين.

يفيضُ من أملٍ قلبي ومن ثقة
لا أعرفُ اليأسَ والإحباطَ في غَمَم
اليأسُ في ديننا كُفْرٌ ومَنْقَصةٌ
لا يُنبتُ اليأسَ قلبُ المؤمنِ الفَهِم

نسأل الله العظيم أن يستعملنا ولا يستبدلنا وأن يفرّج عن المسلمين أجمعين وأن يجعل نصرنا عاجلاً مؤزراً وعاقبة أمرنا خيراً.

بأقلامهن

طبائع النفس

شيماء نعمان

نحمل في جنبات نفوسنا ألوانًا غير متناهية من بصمات طبائعنا، وقد نأمل ذات لحظة في الوقوف على أهم ملامح تلك الطبائع؛ ومن ثم فينبغي علينا متى حاولنا تقييم نفوسنا أن ننظر لها في اثنين من الحالات:

أولاً: في أوقات الشدة والكرب والابتلاء

ثانيًا: في أوقات اليسر والرغد والسعادة

فالحالة الأولى تبصرنا بقوة إيماننا وحسن توكلنا على الله وإنابتنا إليه؛ وبعلاقة طردية يمكننا أن ندرك أنه كلما كان الصبر متأصلاً في النفس وثابتًا فيها كلما كانت أكثر احتسابًا وقربًا من الله عز وجل الذي وعد النفوس الصابرة بالبشر والفوز في الدنيا والآخرة. وهو القائل في محكم آياته في سورة القصص: "أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا"، وكذلك قوله تعالى في سورة الزمر: ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾.

أما الحالة الثانية فتتعلق بسلوك النفس مع أنعم الله عليها، من نعم لا تحصى في الخلق والخُلق والرزق والمال والولد والعمل والعيش؛ وبالأكثر إذا ما توافرت لديها سبل الدعة والراحة والرفاهية. فإذا ما كان سمت النفس في ذلك الحال هو الإقرار بالحمد والشكر لرب العالمين سبحانه وتعالى فإنها في مرتبة سامية رفيعة وقد منحها الله ما هو خير من النعمة نفسها ألا وهو حمد الله والثناء عليه.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "قال رسول الله ﷺ: ما أنعم الله على عبد نعمة، فقال: الحمد لله، إلا كان الذي أعطى - يعني: من هدايته للحمد - أفضل مما أخذ" رواه ابن ماجه.

وقال رب العزة تبارك وتعالى في سورة البقرة داعيًا عباده لفضائل شكره ﴿فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون﴾، وقوله في سورة إبراهيم ﴿وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾.

ومما سبق يمكننا تحري أنفسنا ومعرفة مرتبتها في ظل هاتين الفضيلتين كأفضل ما يكون من مقاييس الإيمان؛ فسبحان الذي خلق النفس وسواها وألهمها فجورها وتقواها.

أصحاب الوجهين!!

ميمونة شرقية

عرّجت في منافذ التاريخ الغابر، وقلّبت بين صفحات الزمان الماضي، وجُلتُ بين قصور القياصرة، وطوّفت بين عروش كسرى، إلى أن وصلتُ إلى أعتاب النيل وقصور الفراعنة، أبحث عن حقيقة بناء الحياة... فما وجدتها غير أوهام نُسجت معابدها وهياكلها ورُفعت تيجانها بألوان من الظلم والاضطهاد وقهر العبيد... وهممتُ بأن أعود منكفئة خائبة على وجهي لولا نور صدع في الآفاق فاستوقفني... وشدني إليه بقوة وأرغمني على الانعطاف نحوه، فعشتُ دهراً في ظلاله أستقي من فيض ضيائه... ثم عدتُ إلى الحاضر... عدتُ إلى هنا حيث يعيش العالم انعطافات في الحياة بحثاً عن معانيها، حيث ما زلنا نشهد ربيعًا قد تلونت آفاقه بلون الطهر والإباء والعزة والجهاد وتفوح في الآفاق أشذاء نسائم الحرية... وما زال دولاب الرحى يدور هنا وهناك مفتتًا عرى البلاد ومدمياً جراح العباد... فمِن سائل: أين صلاح؟ ومن مستنجد بإمام!!!

ومن طالب للحياة... وممن تُطلب الحياة؟

إنّ الحياة ملك لله وحده: ﴿ولله ملك السموات والأرض﴾، يهبَها لمن يشاء. أما الذين يظنون أنهم منحوا الناس في يوم من الأيام إكسير الحياة وأنهم ملكوا البلاد واستعبدوا العباد، وأنهم ملكوا في أجوافهم قلبَين وازدادوا من الفكر عقلين... فدأبهم العيش بوجهين والتبدل بين زيّين، هم الذين قال الله في وصفهم: ﴿ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا﴾ مذبذبين بين الكفر وادعاء الإيمان، فـ ﴿أولئك هم الكافرون حقا﴾ كما قال عنهم الله سبحانه وتعالى.

إنّ هؤلاء تغشّاهم العمى مرتيّن: مرة عندما ظنوا أنفسهم يسيرون في طريق الهدى! ومرة عندما ظنوا أن ناظريهم في عمى! لقد ماتت قلوبٌ نمت بغذاء الدنيا وفاكهتها، وأُشربت الهوى، وترعرعت على حب الشهوات وطلب المحرمات، فانطفأت منها أنوار الحياة، وباتت تعشق سواد الموت في الحياة ولذّتها في ملء كؤوس الناس بالظلم والتعذيب والتنكيل... وكل ذلك تحت مسمى: «الحفاظ على الحياة»، لقد سَكِر أولئك في غياهب الظلم وظلماته، ولا أمل لحياتهم بعد اليوم وقد شيّعتهم نفوسهم الدنية إلى مقابر الجاهلية.

إنما الحياة لمن تغلغل الإيمان في قلبه فأحيا نفسه بها، كما قال الله فيه: ﴿أفمن كان ميتاً فأحييناه؟﴾، عاش بالإيمان فاستنار وأنار، وكانت له الحياة الحقيقية في قلبه، ونعيمه وبهجته وسروره بالإيمان ومعرفة الله ومحبته والإنابة إليه والتوكل عليه، حياته في حركة القلوب في مسار العهد مع الله، والثبات عند الشدائد والابتلاءات، والنصر من الله على النفس والشهوات، وقهر للعدو في ساحات الوغى. فصبراً إخوتنا في الدين فما هذه الحياة إلا متاع وغرور، من ذاق فيها حقيقة الإيمان عاش برياض الجنان، ومن صدّ قلبه وفكره بات في ضنك الدنيا وإن ترفّل في زينة الأثواب وتعطر بألوان الحياة!

العمل للدين.. بين العقل والعاطفة

غادة أحمد حسن

تبقى العاطفة الصادقة دوماً هي المحرك الرئيس للإنسان نحو أي عمل، فلولاها لأتى الأداء فاتراً، وهي التي تشعرنا باللذة أثناء هذا الأداء، وقد تُشكّل في نفس الوقت حاجزاً نفسياً بيننا وبين هذا العمل، هذا عند الشعور بالكره وعدم التقبل والانسجام مع لون معين من ألوان الأداء.

والاحتكام إلى العاطفة دوماً في أن نؤدي أو لا نؤدي قد لا يؤمن سلامة المسير ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾، هنا يأتي دور العقل، إن لم يكن بقناعة ذاتية من داخل الإنسان بأهمية التفويض إليه في النهاية فسيبقى الواحد منّا مضطرباً في قراراته؛ إذ إن الثبات من صفة العقل، والتغيّر هو ما يميّز العاطفة، وعند المسلم، الكل في النهاية يخضع للشرع مع ما يتيحه من مساحات معقولة تنطلق فيها عواطفنا، تلهب خيالاً يدفعنا نحو العمل والإبداع، شريطة أن يُلجَم دوماً بلجام العقل لتحقيق أعلى قدر من الفائدة بأقل قدر من الجهد والخسارة.

لهيب العواطف يُمتعك بسرعة النتائج، ولكنك قد لا تحمد العواقب.

واعتدال حرارة العقل قد يؤخر ظهور النتائج، ولكنك نادراً ما تندم عند العواقب.

ولما التهبت حرارة العاطفة عند الفاروق رضي الله عنه طلب من الحبيب ﷺ أن يأمر عباد بن بشر رضي الله عنه بقطع رأس النفاق، وهذا ما كان سيؤدي بالفعل إلى نتيجة سريعة في التخلص من ذلك المنافق وشروره، ولكن ماذا لو تحدث الصحابة أن الحبيب ﷺ يقتل أصحابه، فما كان الكل على دراية بخبث وسوء طوية هذا المنافق، وهذا ما تجلت فيه الرؤية عن بعد عند الحبيب ﷺ ؛ إذ كان من الممكن فقدان عدد كبير من الصحابة نتيجة شكهم في المراد مما أشار به عمر رضي الله عنه لو نُفّذ، في حين أن رسول الله ﷺ احتوى ما أراده عمر، ومضى في تربية هذا الجيل.

كم يا ترى بلغ عدد الصحابة الذين أعز الله بهم الإسلام عندما مات هذا المنافق؟

وما بين التهاب حرارة العاطفة، واعتدالها عند هذا العقل الذي كرّمَ الله تعالى به الإنسان ينشأ -إن صح التعبير- (فقه الموازنات)، به يسترشد المسلم في اختيار الأولويات، والأهم فالمهم عند العمل لهذا الدين.

فإذا كان هناك موقع يُسب فيه رسول الله ﷺ، أو رسومات كاريكاتيرية تسيء إليه ﷺ، فالعاطفة الصادقة لا تصبر على مثل هذا، ولا يغمض لها جفن، ولا تهدأ بحال، عندها ينصب الفكر كله في (التأكيد) على حتمية (الإغلاق)، ولكنه.. ومن دون اعتدال حرارة العقل قد لا يتوجه إلى (التأسيس) على أهمية (الانفتاح).

والتأسيس أولى من التوكيد، هذه قاعدة فقهية يمكن أن تخدمنا هنا، بمعنى أنه لو أكدنا على ضرورة إغلاق هذه المواقع والنوافذ الإعلامية، فهذا -و لا شك- شعور طيب يُحمد أهله، وسيلزمه جهد كبير، ووقت، ووسائل نشر.

ولكن، كم سيكسب أعداؤنا ويخططون ويؤسسون في فترة انشغالنا هذه؟ كمن يراك في أول درجات السلم، فيقذفك بحجر، فتنشاغل بمحاولة رفعه، دون أن تفكر في الالتفاف حوله، أو حتى القفز عليه ولو إلى حين، كم درجة سيصعدُها، وأنت ما زلت في محاولاتك الأولى؟

ولكن، ماذا لو فكرنا في التأسيس؟ مواقع تنشر الإسلام والدعوة وتربي، وفضائيات، وجمعيات ترعى حقوق الفقراء والمعوزين والمطلقات والأرامل في مجتمعاتنا، واللاتي الكثير منهن لا مأوى لهن، وأيضاً تأسيس دور للأيتام تقوم على برامج تربوية فاعلة، لا على مجرد توفير الطعام والشراب والملبس لهم، والاهتمام بإصلاح وضع المرأة والطفل والشباب..... الخ.

لو تأملنا طويلاً النهج الذي سار عليه موسى عليه السلام، وفرعون لا يكف عن الهجوم عليه واتهامه بالسحر والجنون والتهديد بالسجن، وموسى

عليه السلام يمضي قُدماً في بيان دعوته، لا يلتفت إلى ادّعاءات فرعون، ولو أراد لفعل، بل وينتقل مباشرة لمناقشة السحرة وبيان بطلان حجتهم.

ولا تجد في كتاب الله آية تحكي عن دفاع الحبيب ﷺ عن نفسه، إن هي ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾، ومن ثم التربية والبناء.

لقد جرت عادة البشر على أن من يهاجمك، إذا أعرضت عنه -على الرغم من الألم الذي يكتنفك- ومضيت قُدماً في طريقك، فإنه حتماً سيُعرضُ عنك، لا سأماً منك، وإنما سيبحث لك عن وسيلة أخرى، وسيبقى مشغولاً بك، في الوقت الذي تحقق أنت فيه نجاحات تقوى وتستعصي مع الأيام على النيل منها.

وقد عبر عن ذلك عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- بقوله لمن توعّده أن يتفرغ له: "إنك لفي شغل"، ومن هنا أيضاً نفهم الحكمة من الدعاء الجميل (اللهم من أراد الإسلام والمسلمين بسوء فأشغله بنفسه).

أظن -و الله أعلم- أنه قد بات من المُتعيّن علينا أن نفقه كيف نُشغلُ أعداءنا من حيث أرادوا أن يشغلونا ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

تراجم

الشيخ أسامة اليتيم
(١٩٧٤م - ٢٠١٥م)

موقع نور سورية

مولده ونسبه:

أسامة بن عايد اليتيم، من مواليد مدينة جاسم في درعا عام ١-١٠-١٩٧٤م.

دراسته وتحصيله العلمي:

تخريج أسامة اليتيم من ثانوية الإمام النووي للعلوم الشرعية بدرعا، وكان من الدفعة الأولى في تلك الثانوية، ثم سجل في كلية الشريعة بجامعة دمشق وترفع إلى السنة الثانية، كان حينئذ قد تم قبوله في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ضمن تزكية الشيخ عبد العزيز أبازيد مدير الثانوية الشرعية بدرعا آنذاك، فدرس في كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية وتخرج فيها، ثم حصل على دبلوم في الفقه وأصوله ودبلوم في الدعوة، ثم سجل لدراسات الماجستير - قسم الفقه وأصوله - جامعة ام درمان فرع سوريا وكانت رسالته في تحقيق مخطوط في مقاصد الشريعة للعز بن عبد السلام، وكان من المفترض أن يتقدم بالبحث في صيف ٢٠١١ م لكن الثورة السورية المباركة كانت حائلاً إذ أخذت عليه وقته واهتمامه.

الشيخ أسامة والثورة السورية:

يعتبر الشيخ أسامة من أوائل الذين شاركوا في الثورة السورية منذ الأيام الأولى لانطلاقتها، حيث شارك في المظاهرات كما شارك بعلمه وقلمه، وكان من أوائل من خطب في ميادين جاسم في حوران في بداية الثورة واجتمع الناس عليه، وانتشر له أول فيديو وهو يناشد أهل دمشق وحلب نصرة أهل حوران في مظاهرة جاسم في ٨-٤-٢٠١١، ثم اعتقله نظام أسد ٨ أشهر، وبعد خروجه من المعتقل خرج إلى الأردن وعمل مع إخوانه في الدعوة والإغاثة، وأصبح بيته نزلا للنازحين والمشردين.

أعمال الشيخ أسامة في الأردن:

١- نشط الشيخ أسامة في مكتب هيئة الشام الإسلامية في الأردن، والتي تعتبر من أكبر المؤسسات العاملة في سوريا دعوياً وتربوياً إضافة للعمل الإنساني قبل أن ينفصل عنها في مؤسسة مستقلة، والشيخ يعتبر أحد أعضائها وأحد أعمدة مكتبها العلمي الذي ذاعت فتاواه في الثورة السورية.

٢- ساهم في تأسيس رابطة أهل حوران، وتعتبر أكبر منظمة اجتماعية تعمل في حوران، وكان الشيخ أسامة مديرها التنفيذي في الأردن منذ تأسيسها حتى مغادرته الأردن.

أعمال الشيخ في الثورة في الداخل السوري:

١- كان أسامة اليتيم - رحمه الله - الداعي لمشروع الهيئة الإسلامية الموحدة في المنطقة الجنوبية لجمع شتات الدعاة في بيت دعوي واحد، وكان من أوائل من مارس العمل الدعوي في حوران وساهم في تنظيمه.

٣- أسس مع إخوانه ورفيق دربه الشيخ بشار الكامل الذي اغتالته يد الغدر في حوران بتاريخ ٢-٩-٢٠١٥، دار العدل في حوران بعد أن أصبح الأمن ضرورة ملحة في حوران، فقام بجهود مبرورة في إقناع كافة الفصائل في حوران بالتوقيع على الاعتراف بدار العدل وحصل ذلك بعد جهد ٦ أشهر من الجولات اليومية والمتكررة التي كان الشيخ يقوم بها بنفسه التي أرهقته بدنياً، ونفسياً، وأسرياً، ومادياً، وبعدها أشهرَ الشيخ أسامة اليتيم رحمه الله دار العدل، الذي يعتبر أفضل مشروع موحد للمحاكم في سوريا، حيث حاز على المركز الأول في تقييم المحاكم لعام ٢٠١٥ رغم الانتقادات الموجهة له.

٤- كان له الدور الكبير في بناء علاقات متينة بين العديد من منظمات الداخل والداعمين في الخارج لكونه كان محل ثقة كبيرة من الداعمين.

٥ - كان داعية لله تعالى فهو خطيب الجامع الكبير في جاسم، لم يخن المنبر والدعوة في كتمان الحق كما هو حال العديد من الخطباء، وقد دفع فاتورة البيان من دمه ودم إخوانه ورفاقه.

وكان رحمه الله متواضعاً ويستقبل في بيته كل سوري وخاصة الأرامل والأيتام فكان يدخل في بيته كل من يراه بحاجة إلى المأوى، لمجرد أنهم مشردون لا سكن عندهم، يطعمهم ويسقيهم ويؤويهم.. فيمتلئ بيته بالضيوف.

وكان رحمه الله رجل دولة بامتياز، استشعر في وقت مبكر حجم الكارثة التي أحاطت بسوريا وأهلها، لكنه لم يقف مكتوف الأيدي، وسعى بكل وسيلة لرأب الصدع وجمع الكلمة.

بعض المعاني و العبارات التي كان يكثر من ترددها رحمه الله:

١- فاتورة البيان أخف من فاتورة الكتمان.

٢- الإسلام هو العلم بالحق ورحمة الخلق، وهذا كان عنوان خطبة جمعة هذا الأسبوع له.

٣- ابن تيمية رحمه الله ترك معاركه العلمية والفكرية ضد مخالفيه عندما هجم التتار والمغول على الشام، وحاول أن يستعين بمخالفيه ويوحد صفهم ضد عدوهم المشترك من الغزاة الذين لا يفرقون بينهم.

٤- النظام لا يفرق بيننا في حربه ونحن عنده صنف واحد فلماذا نفرق نحن أنفسنا وندمن لغة التصنيف الديني فيما بيننا، دعونا من التصنيف ولنجتمع على عدونا .

٥- العقاب يعم الساكت والراضي.

وهذا جزء من آخر خطبة له في الأسبوع الماضي:

«واجب المجتمعات في التغيير»

القرى الظالم أهلها

العقاب يعم الساكت والراضي ..

هناك قاض ظالم ومحكمة ظالمة ومجتمع ظالم .. المجتمع الذي يشفع في حدود الله مجتمع ظالم المجتمع الذي لا يعين على تطبيق شرع الله مجتمع ظالم، المجتمع الذي يرى الظالم والسارق والقاتل وقاطع الطريق ثم لا يأخذ على أيديهم مجتمع ظالم.

استشهاده:

اغتال مجهولون الشيخ أسامة اليتيم، رئيس محكمة دار العدل في حوران، مع اثنين من أشقائه ومرافقه، على الطريق الواصل بين مدينة درعا وبلدة صيدا، يظهر يوم الثلاثاء ٤ ربيع أول، الموافق ١٥ كانون الأول / ديسمبر عام ٢٠١٥.

حيث استهدفوا سيارتهم بالرصاص فقُتلوا جميعًا رحمهم الله، ونقلوا إلى مشفى تل شهاب، وُري الثرى في مسقط رأسه في مدينة جاسم. تقبله الله وأسكنه فسيح جنانه.

(*) باختصار

واحة الشعر

مأساة يا وطني

محمد نورس الرفاعي

صبرٌ يُؤَرِّقُهُ ما باتَ يجمعنا
في الشام من ألمٍ يكوينا بالألمِ
ما قد جرى قدرٌ يا ليتَ نعتبرُ
مما اعترى وبدا في حالكِ الظُّلَمِ
لا تسألوا أبداً من كان هوّ سبَبَا
فالدِّينُ جانَبَنَا والقَطْعُ في الرِّحَمِ
حقَّ البلاءُ بنا ما دمنا نعتبرُ
أنَّ الـ أنا أبداً والكلُّ في العدَمِ
إن لم نعُدْ وكفى لله نعبدهُ
فالليلُ في لُجَجٍ مُحتَدّةٍ عَتِمِ
ما ذنبنا أبداً أن كنّا في بلدٍ
يربو العبيدُ به والحرُّ في الحِمَمِ
كلُّ القوافيَ ضاعت في معالمها
يوم الفِراق لحمص القلبُ في غَمِمِ
والنفس في المُهَجِ الشمّاء سابحةٌ
من هولِ ذا ألَمٍ قد زاد في سَقَمي
والروحُ ذائبةً شوقاً لتربتها
والعينُ باكيةً حزناً ولم تنمِ
يا صاح خذ بِيَدِيّ ما عُدت أحتمل
ما آلَ فينا تَرَى ضربٌ مِنَ العدمِ
وازدادنا رَهَقٌ في صُلبِ محنتنا
أنّ الوصال غدا من خارج الرِّحَمِ
ما عاد يُسعِفُنا دمعٌ ولا خُطَبٌ
إن لم نكن سنداً للحقِّ نَستَقِمُ
أصواتنا هتفت حُرِّيّةً كُتِبَت
بالدمِّ يا وطني والقيدُ يحتَكِمُ
تاريخنا ذَهَبٌ يرويه من سبقوا
والشامُ مفخرةً في أصلها القِيَمُ

لا خير فينا إن هجرنا شامنا

أبو محمد الحموي

أرغبتَ باليونان عن أوطاني ورحلت في بحرٍ بلا عنوان
أرضيت بالتهجير يا ابن الشام وهو المنى للفرسِ من أزمان
شتانَ بين مقامِكم في لندنٍ وديارنا في الشام و بلودان
أرض الفضائلِ و الفصائلِ و الفدا في كل دارٍ راحة الإنسان
في السِلم مسكنها مريحٌ رائقٌ فالماء و الحسنا مع البستان
انظر معالمها تراها لوحةً تحكي لنا عن روعة الفنان
دوماً هي الشام الحبيبة جنةٌ لكنها نارٌ على الطغيان
في الحرب أشبالٌ و أبطالٌ لها شبّانها حِممٌ من البركان
طوبى لمن قطَن الشآم مجاهداً ضد المجوس و حزبه الشيطاني
جاء الحديث عن الرسول صراحةً أن الشآم معاقل الإيمان
لا ترحلَنّ عن البلاد مخافةً فالعُمر محسومٌ لدى الرحمن
فلم الرحيلُ إلى بلادٍ كلُّها شُحنت بحقدٍ فرقت أوطاني
هم مانعوا تسليحنا في مجلسٍ هم أوجدوه لكي يجول الجاني
أنا لا أعاتب في قصيدي من مشى لكن ألومُ جماعة الشبّان
إن الشباب همُ الحُماة لعِرضنا مَن غيرُهم يحمي حِمى الأوطان؟
ما كل من هجر البلاد بمخطئٍ إن كان مضطراً فأمرٌ ثاني
فرسٌ أتوا بشبابهم واستوطنوا وشبابنا رحلوا عن البلدان
فرسٌ مجوسٌ جاء من طهران يغزو الشآم برفقة اللبناني
لا خير فينا إن هجرنا شامنا نبغي النجاة نساعد الإيراني
من كان لايدري فتلك فضيحةٌ ما أكثر العميان في المَيدان
هَب أن أكثرنا تباروا في الضحى للفوز في سفرٍ إلى اليونان
ماذا ترى حال الشآم و ريفها والأهل في حمصٍ و في حوران
الحال حال الأهل في الأقصى وفي أرضِ العراق يسوسها السيستاني
كيف السبيل إلى النجاح و جلنّا طلب الأمان بدولة الألماني
لا خير في التهجير بل هو حتفنا فغداً يفوق الفرس في السكان
فالله أسأل أن يردَّ شبابنا هم يُرهبون جحافل العدوان
عودوا بني ديني و قومي للشآ م وحققوا قول النّبيّ العدنان
يا مرحباً برجوعكم و ثباتكم فالرّوس يخشى صولة الشبّان
صولوا و جولوا في القتال كخالدٍ والله يكلؤكم مع الإيمان
فغداً سيندحر الجميع و بوتنٍ بهزيمةٍ أنكى من الأفغان
وتعود أرض الشام شامخةً بكم ويغرد الأطفال بالقرآن
وتعم فرحتنا و يشفى جرحنا وتزغرد الفتيات للفرسان

من إنجازات الهيئة

جمعية القرآن لتعليم القرآن الكريم :

أتم ١,٦٥٢طالباً وطالبة حفظ جزء من القرآن خلال شهر تشرين الثاني.

بلغ عدد حلقات تحفيظ القرآن الكريم ٥٣١ حلقة (٢٧٥حلقة للذكور و ٢٥٦حلقة للإناث)، تضم ١٢,٧٧٣ طالباً وطالبة.

الأنشطة التربوية :

تنفيذ ٣ دورات للمربين في التخطيط التربوي وغرس القيم وأثر القدوة، استفاد منها ١٠ مربين.

إتمام ٥ دورات تدريبية تطويرية لأكثر من ٣٠ شاباً في : مهارة تحمل المسؤولية - دورة الأهداف الشخصية - دورة كيف تقرأ؟وماذا تقرأ؟ ولمن تقرأ؟ - دورة كيف تكتب مشروعاً- دورة أنماط الشخصيات.

الأنشطة الدعوية :

نفذ ٧٩ داعية في الداخل السوري ومناطق اللجوء ٥,٨٨٧ نشاط دعوي خلال شهر تشرين الثاني، استفاد منها حوالي ١٩٠,٣٤٨شخصاً.

بلغ عدد الساعات التدريسية في معهدي حلب وحماة لإعداد الدعاة ٨٠ ساعة.

افتتاح معهد الشام لإعداد الدعاة في مدينة إدلب، ليكون الثالث بعد معهد حلب وحماة.

الأنشطة الإعلامية :

توقيع مذكرة تفاهم وتعاون إعلامي بين هيئة الشام الإسلامية وقناة درر الفضائية.

الأنشطة النسائية :

انتهت دورة (واحة فتيات الشام) في مساجد الغوطة الشرقية بتكريم حوالي ٢٠٠ فتاة.

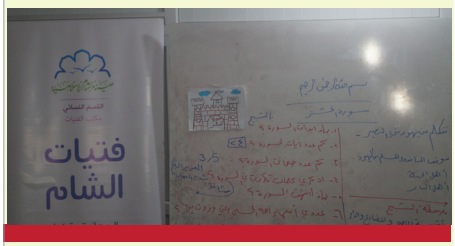

استفاد ١٨٤ طفلاً وطفلة في المرحلة الابتدائية من أنشطة مكتبة الطفل في مدينة الريحانية بتركيا.

إنهاء مادة طرق ومهارات التدريس ومادة الفرق والأديان المعاصرة، ضمن برنامج عطاء في المركز الثقافي النسائي بالريحانية.

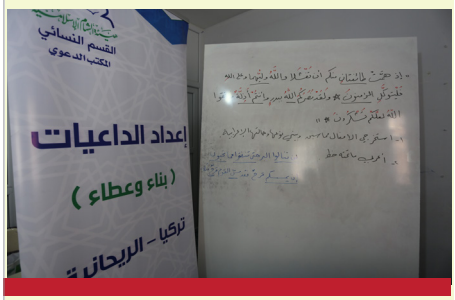

مشروع أمان ٢ وأمان ٥ ينطلقان بالريحانية وعمان بأكثر من ١٠٠ امرأة.